
محاضرات فيديو لاهوتيّة

الوحدة: اللاهوت الكتابيّ

المحاضرة ٢٣: الكفّارة

مُقدّم المحاضرة: الدكتور روبرت د. ماكورلي



The John Knox Institute
of Higher Education

إسناد ميراثنا المُصلح إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

كلية جون نوكس للتعليم العالي
إسناد ميراثنا المصّلى إلى الكنيسة في جميع أنحاء العالم

© ٢٠١٩ من خلال كلية جون نوكس للتعليم العالي

كلّ الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذه المحاضرات بأيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة لتحقيق الربح، باستثناء استخدام اقتباسات مُختصرة لأغراض المراجعة أو التعليق أو المنح الدراسية، من دون الحصول على إذن خطّي من الناشر: كلية جون نوكس، ص. ب. ١٩٣٩٨، كالامازو، ميشيغان ١٩٠٤٩٠-١٩٣٩٨، الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

جميع اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، ما لم تتم الإشارة إلى خلاف ذلك.

الرجاء زيارة موقعنا: www.johnknoxinstitute.org

القسّ روبرت ماكورلي هو خادم الإنجيل في كنيسة جرينفيل المشيخيّة في جرينفيل في كارولينا الجنوبيّة، وهي كنيسة تابعة للكنيسة الحرّة في اسكتلندا. www.freechurchcontinuing.org

وحدة

اللاهوت الكتابي

٣٠ محاضرة

الدكتور روبرت د. ماكورلي

٢١ مُحاضرة من العهد القديم ٩٠ مُحاضرات من العهد الجديد

محاضرات العهد الجديد

٢٢. التجسّد
٢٣. الكفارة
٢٤. القيامة
٢٥. يوم الخمسين
٢٦. الكنيسة
٢٧. الوحدة
٢٨. التطبيق
٢٩. الإرسالية
٣٠. المجد

محاضرات العهد القديم

١. المقدّمة
٢. الخلق
٣. السقوط
٤. نوح
٥. إبراهيم
٦. الآباء I
٧. الآباء II
٨. الخروج
٩. سيناء
١٠. خيمة الاجتماع
١١. الذبائح
١٢. الكهنوت
١٣. الميراث
١٤. داود
١٥. المزامير
١٦. سليمان
١٧. الهيكل
١٨. الملكوت
١٩. الأنبياء
٢٠. السبي
٢١. الاستعادة

الكفارة

موضوع المحاضرة:

يتنازل الله ليعلن مجده من خلال عمل المسيح الكفاري الكامل.

النص:

"لَأَنِّي لَمْ أَعْزِمُ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا."

(١كورنثوس ٢: ٢)

نصّ المحاضرة ٢٣

لا يستطيع العالم أن يرى الحقائق الروحية. إنهم عميان، يتلمسون طريقهم في ظلمة عدم الإيمان. يقول بولس إنهم ينظرون إلى الصليب ويعتبرونه جهالة. ما الذي يمكن أن يكون أكثر حماقة من الضعف الواضح للقائد، أو الملك، أو المنقذ، الذي يتعرض في النهاية إلى هزيمة بواسطة إعدام شنيع؟ هذا لا يُظهر نوع القوة التي يقدرها العالم. في مواجهة هذه الانتقادات الرافضة، يكشف الله لنا الحق، الحق الذي يكشف جهل العالم. يُظهر الصليب حكمة الله وقوته، ودعمه للعدالة الإلهية، بينما يمنح الرحمة في ضمان خلاص شعبه. لقد ظهر صلب المسيح للعين البشرية كهزيمة فادحة، ولكن في الواقع، في تلك اللحظة بالذات، أظهر الله انتصاره الأعظم. لقد انتصر المسيح على الخطية، والشيطان، والموت، والجحيم، ولم يفعل ذلك بالرغم من الصليب، بل من خلال الصليب. لذلك، يمكننا أن

نقول مع بولس في ١ كورنثوس ١: ١٨ "فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ أَهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخْلِصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ."

كيف يبلُغُ الزخْمُ المتزايدُ لما تعلّمناه في العهد القديم ذروته في عمل المسيح الكفاري؟ كيف يتمّ التعبير عن موضوعات العهد القديم اللاهوتيّة بشكلٍ كامل في العهد الجديد؟ لماذا يُعتبرُ الصليبُ محورَ العهد الجديد والكتاب المقدّس ككل؟ ما هي المكونات المختلفة للكفارة، وماذا تُعلّمنا عن محتوى الإنجيل؟ ما الذي أمّنه الصليبُ بالضبط من حيثُ الخلاص، ومن أجل من مات المسيح؟ في هذه المحاضرة، نوجّه انتباهنا إلى أحدٍ أعظم الأحداث في تاريخ فداء الله. لكن علينا أولاً أن نميّز بين هدفِ إتمامِ الخلاصِ والتطبيقِ الشخصيِّ للفداء. إذًا، الأولُ يتحدّث عن عمل المسيح من أجلنا، بينما الثاني يتعلّقُ بعمل المسيح فينا. في هذه المحاضرات الأربع الأولى عن العهد الجديد، نركّز في المقام الأول على هدفِ إتمامِ الخلاص؛ هذا هو عملُ المسيح من أجلنا. وبعض المحاضرات الأخيرة ستركّز على تطبيقِ الخلاص على المؤمن، أي على عملِ المسيح فينا. ولكن، يجب أن يكونا دائماً معاً في توازن كتابي. إن التركيزَ على أحدهما مع استبعاد الآخر، من شأنه أن يُشوّه رسالة إنجيل الكتاب المقدّس. لذا، دعونا نوجّه انتباهنا إلى موضوع الكفارة هذا.

أولاً، سنلاحظُ الكشفَ التاريخيَ لموضوع الكفارة هذا. بدأ الإعلانُ عن خطّة الله للفداء، كما تتذكّرون، في تكوين ٣: ١٥، "وَأَصْعُ عِدَاوَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ." إنَّ سحقَ المسيح لرأسِ الحية يأتي بثماره الكاملة في عمله المتجدّد، ولكن في هذه العملية يُسحقُ عقِبَ المسيح، في إشارة إلى عمله على الصليب. نقرأ في يوحنا الأولى ٣: ٨ "مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيئَةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لِأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَدْءِ يُخْطِئُ. لِأَجْلِ هَذَا أَظْهَرَ ابْنُ اللَّهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ." ويتأكّد هذا أيضاً، مثلاً في كولوسي ٢: ١٥، "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَّاسَاتِ وَالسَّلَاطِينَ"

أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ. "لقد تنبأ كلُّ تاريخِ العهدِ القديمِ بهذا العملِ العظيمِ، ويوضِّحُ العهدُ الجديدُ أنَّ تحقيقَه كان في المسيح.

لذلك، فيما يتعلَّق بالخروج، نقرأ في ١ كورنثوس ٥: ٧ "لأنَّ فَصَحْنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا." يبدأ العهد الجديد بإعلان يوحنا المعمدان "هوذا حمل الله"، وينتهي العهد الجديد بنفس الصورة. وفي رؤيا ٥: ١٢ هناك صورة للمسيح في السماء بعد صعوده، ونقرأ: "قَائِلِينَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "مُسْتَحِقُّ هُوَ الْخُرُوفُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!" يمكن العثور على إشارات إلى الحمل حتى نهاية السفر في الإصحاح ٢١: ١٤.

وكما سنستكشف بعد قليل، فإنَّ المسيحَ تمَّ موضوعات العهد القديم كالضمان، والذبيحة، والبديل، والفدية، والفداء، وغيرها. النقطة التي أريد توضيحها هي أنَّ فهمك لمفاهيم العهد الجديد سيكون محدودًا جدًّا من دون فهم شامل للاهوت العهد القديم. تكشف الأناجيل الأربعة تاريخَ عملِ المسيح على الأرض، وكلُّ منها يركِّز تركيزًا مُختلفًا. ونقرأ عن حياته وموته وقيامته وصعوده. ستلاحظ أنَّ الأناجيل الأربعة حَصَّصَتْ نسبةً كبيرةً من المساحة لكلِّ ما أدى إلى صلب المسيح وما أحاط به. مثلًا، ما يقربُ من نصفِ إنجيل يوحنا مُخصَّصٌ لذلك الأسبوع الأخير من حياة المسيح وأحداثِ موته. أمَّا باقي العهد الجديد فهو مُخصَّصٌ لشرح مضامين عمل المسيح، وخاصة كَفَّارَتِهِ. ولهذا يقول بولس: "لِأَنِّي لَمْ أَعِزِّمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا" (١كورنثوس ٢: ٢).

لذا، ثانيًا، نريد التركيز بشكلٍ خاصٍّ في هذه المحاضرة على لاهوت الصليب. في لاهوت الصليب: يجب أن نرى أنَّ الله يقدِّم إعلانًا عن نفسه من خلال عمل المسيح الكفاري. لذا، فإنَّ الله يُظهر لنا مَنْ هو من خلال ما يفعله. لا يمكن أن يتغيَّرَ الله. إنَّه إله قدوس وبارٌّ، لذا، فإنَّ خلاصه يجب أن يتوافق مع شخصيته. الإنجيل الحقيقي هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك، ولهذا السبب عندما يعلم بولس الإنجيل، يقول في رومية ٣: ٢٦: "لِإِظْهَارِ بَرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ" أي بَرَّ الله: "لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ." كيف يمكن أن يبقى الله عادلًا ويبرِّر أولئك

الذين من الواضح أنهم أشرار؟ يُقدّم لنا الإنجيلُ الجوابَ الوحيد. فمثلاً، عدله موجود في العقاب الكامل للخطيئة وفي إرضاءٍ غضبه بوضع غضبه على المسيح كبديل مكان شعبه. إنه يظهر محبته الرائعة لشعبه، إذ يجمعُ عند الصليب بين عدله ومحبته.

سوف نستكشفُ تحت هذه النقطة اللغة واللاهوتَ الموجودَ في العهد الجديد. اسمحوا لي أن أسلط الضوءَ بشكل خاصٍ على أربعة أمثلةٍ رئيسيةٍ تتعلقُ بلاهوت الصليب. الأول هو الذبيحة، موضوع الذبيحة. هذا هو الموضوع السائد في كلِّ الكتاب المقدس، وهو جزء مهمّ من دور الوسيط في تقديم نفسه كذبيحة. لذلك، تقول رسالة أفسس ٥: ٢، "كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً لِلَّهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً." كما تعلمون، فإنّ تدبير العهد القديم بأكمله، بنظامه الذبائحي، يشيرُ إلى ذبيحة المسيح. والفكرة المركزية في هذه العقيدة هي فكرة البدلية. وهذا هو المقصود بكفارة الذبيحة البدلية. إنها تُشير إلى البديل، أي المسيح، الذي هو بديلنا في العقاب. هو يقفُ في مكان شعبه ويُكفّر عن خطيئتهم.

وكما تعلّمنا في محاضرةٍ سابقة، فإنّ هذه الذبيحة الكفارية شملت البدلية والاستيفاء. إنهما كلمتان لاهوتيتان كبيرتان، لكن لهما معنى بسيط ومهم. تشير البدلية إلى محو الخطيئة وإزالتها، وبشكل أكثر تحديدًا، إزالة ذنب الخطيئة. نقرأ في رؤيا ١: ٥، "لِلَّذِي أَحَبَّنَا وَقَدْ عَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ." ولكن، يوجد أيضًا الاستيفاء، وهذا يُشير إلى إرضاء العدالة الإلهية وإرضاء غضب الله. نقرأ في رومية ٥: ٨-٩ "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْعَصَبِ". وعلى الرغم من أنّ البعض يعترض على هذا الجانب من الكفارة، إلا أنه جزء لا غنى عنه من الإنجيل. الله، بطبيعته كإله بارّ وعادل، يجب أن يعكس غضبه تجاه كلِّ الخطايا. لذلك، يجب إزالة هذا الغضب من خلال موت المسيح، لإرضاء العدالة الإلهية، يوحنا الأولى ٤: ١٠ "هَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ، لَيْسَ أَنَّنَا أَحْبَبْنَا اللَّهَ بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لذنوبنا."

الموضوع الثاني في لاهوت الصليب هو المصالحة. لذلك، سنقرأ واحدًا من الأمثلة الكثيرة في رومية ٥: ١٠-١١:

"لِأَنَّهُ إِن كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ. وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَحِرُ أَيْضًا بِاللَّهِ، بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نَلْنَا بِهِ الْآنَ الْمُصَالِحَةَ." المصالحة هي جزء مهم من موضوع الكفارة ولاهوت الصليب. تشير المصالحة إلى إزالة عداوتنا مع الله؛ لذا فإن كفارة المسيح تزيل اغترابنا عن الله، بل بالأحرى، تستعيد الصداقة والشركة مع الله. هذه بشرى سارة فعلاً، رسالة يجب إعلانها في الإنجيل؛ وهي جزء مهم من الوعظ. استمع إلى وصف بولس في ٢ كورنثوس ٥: ١٨-٢٠: "وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللَّهِ، الَّذِي صَالِحًا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالِحَةِ، أَيَّ إِنَّ اللَّهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالِحَةِ. إِذَا نَسَعَى كَسُفْرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللَّهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالِحُوا مَعَ اللَّهِ."

إذًا، الموضوع الأول هو الذبيحة. والثاني هو المصالحة. الموضوع الثالث هو الفداء: أفسس ١: ٧ "الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ." ويشير الفداء إلى خلاصنا ودفع الثمن ليشترينا مرة أخرى لنفسه، أي فكرة الفدية. وكان هذا المفهوم بارزًا بشكل واضح في العهد القديم؛ كان حدث الخروج من مصر برمته يدور حول الفداء. الموضوع نفسه موجود في تقديس الأبنكار وفي مفهوم الفادي الولي، والذي لا يظهر في الناموس فحسب، بل يتجلى في سفر راعوث وأماكن أخرى. كل هذا واضح تمامًا في العهد الجديد. وهذا يشمل فكرة المسيح كضامن لنا. ولضماننا، أخذ على عاتقه مسؤولية دفع الدين عن خطايا شعبه. ويوضح العهد الجديد أيضًا أن المسيح كان الفدية. وكان الثمن المدفوع من أجل فدائنا هو سفك دماء مخلصنا. يشير المسيح إلى نفسه في مرقس ١٠: ٤٥ عندما يقول:

"لِيَبْدُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنِ كَثِيرِينَ."

وبشكل أكثر تحديداً، تمّ خلاصُ شعبِ الله من العبوديّة الروحيّة. ويمكنك رؤية ذلك تحت أربع نقاط. تمّ خلاصُ شعبِ الله من العبوديّة الروحيّة. أولاً، لقد تمّ خلاصُهم من عبوديّة الخطيّة، وإثمها، ودينسها، وقوتها، وما إلى ذلك. لذلك، نقرأ في تيطس ٢: ١٤ عن المسيح: "الَّذِي بَدَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يُفْدِنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيْرًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ" ثانياً، لقد تمّ خلاصُ شعبِ الله من لعنة الناموس. تقول رسالة غلاطية ٣: ١٣ "الْمَسِيحُ أَفْتَدَانًا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى حَشَبَةِ". ثالثاً، لقد تمّ خلاصُ شعبِ الله من أعمالِ إبليس. ترى هذا مثلاً في رسالة يوحنا الأولى ٣: ٨. رابعاً، لقد تمّ افتداء شعبِ الربِّ من سلطان الموت. تقول الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤ "لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ". وقد ذُكِرَ هذا بشكل جميل في نهاية رسالة كورنثوس الأولى ١٥ أيضاً. لذا، فإنّ الفداء هو عُصْرٌ مُهِمٌّ آخِرٌ فِي لَاهُوتِ الصَّلِيبِ وَفِي فَهْمِنَا لِلْكَفَّارَةِ.

الموضوع الرابع هو موضوع الطاعة. وكثيراً ما تُفسّر ذلك تحت طاعة المسيح النشطة وغير النشطة. لذا، فإنّ الخلاصَ يتطلّب طاعة الله. هذا واضح، لكنّ اللاهوتيين يميّزون بين جانبيين. هما: طاعة المسيح النشطة، وطاعته غير النشطة. وكلاهما يصفان عملَ المسيح الكامل. تذكر نهاية ٢ كورنثوس ٥: ٢١ "لِأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ حَظِيَّةً حَظِيَّةً لِأَجْلِنَا لِنصيرَ نحنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ". اسمحو لي أنْ أشرحَ هذا باختصار. تشير طاعة المسيح النشطة إلى إتمام ما يتطلّبه الناموس. لذلك، يتطلّب الله الطاعة الكاملة لشريعته لكي نكون مقبولين في نظره. لقد أطاعَ المسيحُ في حياته نيابةً عن شعبه وصايا الناموس، ومتطلّباته بالكامل، وبذلك حصل على سجلِّ البرِّ الكامل، وحفظَ الناموسَ بشكلٍ كامل. وبرُّ المسيح الكامل يُنسبُ إلى شعبه ويقبلونه بالإيمان. هذا هو عملُ طاعته النشط.

ثانياً، لدينا طاعته غير النشطة. يشير هذا إلى تحمّله العقوبة التي يقتضيها الناموس. لذلك، تتطلّبُ شريعةُ الله أيضاً عقوبةً عادلةً للخطيّة. المسيح دفع عقوبةَ الناموس وحملَ لعنته بدلاً من شعبه: فيلبي ٢: ٨ "وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ، وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتِ الصَّلِيبِ". لذا، فإنّ موضوعَ الطاعة هذا فيما يتعلق بالكفّارة ولاهوت

الصليب، يمكن تتبُّعه من خلال العهد الجديد أيضًا. باختصار، تحت النقطة الثانية، لاحظ كيف تتوافق كَفَّارة المسيح مع جميع احتياجاتنا.

تأملنا في أربعة أشياء مختلفة. أولاً، الذبيحة تتوافق مع مشكلة الذنب والغضب. المصالحة تتوافق مع مشكلة عداوتنا وغربتنا عن الله. الفداء يتوافق مع مشكلة العبودية، والطاعة تتوافق مع مشكلة متطلباتِ شريعة الله. بمعنى آخر، لاهوت الصليب مناسب تمامًا لاحتياجات شعب الله ويُقدِّم لهم الخلاص الكامل. كان الصليب ضروريًا. ولم يكن بإمكان الله أن يفدي شعبه بطريقة أخرى. مثلًا، لم يكن بإمكانه أن يفديهم بمجرد إعلانِ غفرانِ خطاياهم. ذلك لأنه كان لا بدَّ من المحافظة على عدالة الله. إنَّ عملَ المسيح على الصليب يوفِّر محتوىً أساسياً لرسالة الإنجيل الحقيقي. يكشف الله عمَّا أنجزه من أجل خلاص شعبه، والصليب هو إظهارٌ لعدلِ الله ومحبتِّه. نرى في الصليب ما نترنِّم به في مزمور ٨٥: ١٠ "الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ أَلْتَقِيَا. أَلِيرُ وَالسَّلَامُ تَلَانِمَا."

ثالثًا، في هذه المحاضرة، نحتاجُ إلى النظر في مدى الكفارة. لذلك أخيرًا، نطرحُ هذا السؤال: "من هم الذين ينالون بركات الكفارة؟" أو طريقةً أخرى لطرح السؤال: من أجل مَنْ مات المسيح؟ هذه عقيدة يُساء فهمها في كثير من الأحيان. يوجد نظام لاهوتي يُسمى بالأرمينية ويعلم أنَّ المسيح مات من أجل جميع البشر، وكفَّر عن خطايا جميع البشر، ولكن خلافًا لهذا التعليم غير الصحيح، يُعلمُ الكتاب المقدس أنَّ المسيح مات من أجل شعبه المختار. وهذا أمر مهمٌّ، وهو مهمٌّ لأنه يؤثِّر على فهمنا لطبيعة الكفارة نفسها كما سترى. تتناسبُ هذه العقيدة مع السياق الأوسع لما يُعلمه الكتاب المقدس عن فسادِ الإنسانِ الكليِّ وعجزه الروحيِّ واختيارِ الله، واختياره السياديِّ لشعبه. لذا، عندما نطرح السؤال، من أجل مَنْ مات المسيح؟، فلننكِّر للحظة في نطاق هذا السؤال. وقد يكون من المفيدِ أولاً أن نذكر الأمر الذي لا يتمُّ التشكيك فيه. يجبُ إعلانُ الإنجيلِ لكلِّ إنسانٍ في العالم. يتمُّ الكرازة بالخلاص من دون تمييزٍ لكلِّ من يسمعون الإنجيل، ولا يتمُّ التشكيكُ في كفاية عمل المسيح.

ومن جهة أخرى ما قيل هو التالي: مدى الكفارة، ومن هم المستفيدون من بركاتها - متأصل في طبيعة الكفارة نفسها. وهذا ما يتمّ تسليط الضوء عليه هنا. لم يخلُق المسيح مجرد إمكانية افتراضية لخلاص البعض. لقد ضمن وحقّق الخلاص بشكل مؤكّد ونهائيّ لشعبه المختار. وبما أنّ جميع المسيحيين يؤمنون أنّه لن يذهب كلّ البشر إلى السماء، فإنّ السؤال هو: "من الذي يحدّد من الكفارة؟ الله أم الإنسان؟ الجواب هو: الله هو الذي يضع معايير الكفارة. نحتاج أيضًا إلى فهم ما لما يتمّ ذكره. علينا أن ندرك أنّ خطيئة عدم الإيمان، وبالتالي موهبة الإيمان، مضمونة في الكفارة نفسها. عندما مات المسيح، مات من أجل خطيئة عدم الإيمان، ومات ليضمن عطية الإيمان.

نحن ندرك أيضًا أنّ محبة المسيح لعروسه تختلف عن تدبيره تجاه بقية العالم، ويجب أن نلاحظ أنّه لا يمكن أن يكون هناك دُفعة مزدوجة. ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أنّه لا يمكن أن يكون الأمر أنّ المسيح يدفع ثمن خطايا جميع البشر، ومن ثمّ يجب على بعض غير المؤمنين أن يدفعوا ثمن الخطيئة نفسها مرّة أخرى في الجحيم. هذا غير منطقيّ. يُعلّمنا الكتاب المقدّس كلّ هذا الأمر الخاصّ: يُقدّم الله الكفارة لشعبه المختار. ونرى ذلك في العهد القديم.

لقد اختار الله بمشورة إرادته الخاصة شعبًا خاصًا لنفسه، وهو شعب إسرائيل، متميزًا عن بقية العالم، وقدّم لهم الخلاص. لذلك، مثلًا، في تثنية ٧: ٦-٨ نقرأ: "لأنّك أنت شعب مقدّس للربّ إلهك. إياك قد اختار الربّ إلهك لتكون له شعبًا حصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التّصق الربّ بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الربّ إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لأبايكم، أخرجكم الربّ بيدٍ شديدةٍ وقدّاكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر."

إنّ نظام الذبائح بأكمله في العهد القديم علم الحقيقة نفسها. فالذبائح التي كانت تعني الحصول على الكفارة، كانت من أجل شعب مُعيّن، وليس للعالم كلّه. يمكننا أن نفكر في مجموعة من النصوص الأخرى. ففكر، مثلًا، في الضمائر المستخدمة في نهاية إشعياء ٥٢ بدءًا من الآية ١٣ وحتى إشعياء ٥٣. نرى الشيء نفسه في العهد الجديد

منذ الصفحة الأولى. نقرأ في متى ١ : ٢١: "فَسَتَلِدُ أَبْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ." وَيُعَلِّمُ يَسُوعُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ فِي يُوْحَنَّا ١٠ : ١٤-١٥ "أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي، كَمَا أَنَّ الْآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ." فِي كُلِّ صَلَاةِ الْمَسِيحِ الْكَهْنَوِيَّةِ فِي يُوْحَنَّا ١٧، يَشِيرُ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا إِلَى الَّذِينَ أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ الْآبَ، وَيَقُولُ فِي الْآيَةِ ٩: "مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لِأَنَّهُمْ لَكَ." وَيُوصِي بُولسُ شَيْوْخَ أَفَسَسَ فِي أَعْمَالِ الرِّسْلِ ٢٠ : ٢٨ قَائِلًا: "اِحْتَرِزُوا إِذَا لِأَنفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللَّهِ الَّتِي أَقْتَنَاهَا بِدَمِهِ." وَيُمْكِنُنَا تَقْدِيمُ الْمَزِيدِ مِنَ النُّصُوصِ، وَلَكِنْ هَذَا يَكْفِي.

اسمحوا لي الآن أن أربط هذه الخيوط المختلفة معًا من خلال طرح الحجّة الكتابيّة ككلّ، وسوف ننتقل إلى جون أوين، وهو بيوريتاني إنجليزي من القرن السابع عشر، والذي يوضّح ذلك بوضوح شديد. استمع جيّدًا وحاول متابعة ما يقوله. إنّ حجّة الكتاب المقدّس بشأن حقيقة أنّ المسيح مات من أجل شعبه المختار هي كما يلي:

"لقد فرض الآب غضبه وخضع الابن للعقاب إمّا: (١) عن كلّ خطايا جميع البشر، (٢) عن كلّ خطايا بعض الناس، أو (٣) عن بعض خطايا كلّ الناس. في هذه الحالة، يمكن القول، أوّلاً: إنّ كان القول الأخير صحيحًا، أي أنّ المسيح قد عوقب من أجل بعض خطايا كلّ البشر، فعندئذ كلّ الناس لديهم خطايا يتحمّلون مسؤوليّتها، وبالتالي لا أحد يخلص. يمكننا إزالة هذا القول من القائمة. ثانيًا: "إنّ كان القول الثاني صحيحًا، وهو أنّ المسيح مات من أجل كلّ خطايا بعض الناس، فإنّ المسيح تألم عوضًا عنهم من أجل جميع خطايا جميع المختارين في العالم كلّها، وهذا هو الموقف الصحيح. ولكنّ ثالثًا، وهذا يخاطب جماعة الأرمنيّين: إنّ كان القول الأوّل صحيحًا، أي أنّ المسيح مات من أجل جميع خطايا كلّ الناس، فلماذا لا يتحرّر جميع الناس من العقاب بسبب خطاياهم؟ وإجابتهم تكون: بسبب عدم الإيمان. يقول أوين: ثمّ أسأل: هل عدم الإيمان هذا خطيّة أم لا؟ إنّ كانت الإجابة: نعم، هي خطيّة، فإنّ المسيح قد

نال العقاب المستحقّ عليها، أو أنّه لم ينله. فإنّ كان الأمر كذلك، فلماذا يمنعهم ذلك أكثر من خطاياهم الأخرى التي مات المسيح من أجلها؟ ولكن إن لم يكن قد مات عن تلك الخطيئة، فهو لم يموت عن كلّ خطاياهم.

يمكنك أن ترى هنا قوّة الحجّة الكتابيّة كما لخصّها جون أوين بشكل جيّد ومختصر. الجواب على السؤال المتعلّق بمدى الكفّارة – عن مَنْ مات المسيح؟ – الجواب الذي يقدّمه الكتاب المقدّس هو أنّ المسيح مات من أجل شعبه المختار. اسمحو لي أنّ أوضح مضامين هذه العقيدة بالنسبة للاختبار المسيحيّ. ما رأيك في الرجل الذي أخبر زوجته أنّه يحبّها ولكنّه أيضًا يحبّ جميع النساء الأخريات في العالم تمامًا كما يحبّها؟ سوف تشعر بالإهانة الشديدة، وهي مُحقّقة في ذلك. عندما ينظر المسيحيّ إلى الصليب، فإنّه يرى محبّة المسيح الخاصّة لعروسه، ولا يرى محبّة عامّة لمجموعة غامضة وغير مُحدّدة من البشريّة. لقد حمل المسيح شعبه الخاص على قلبه وفي ذهنه عندما قدّم نفسه ذبيحةً عن خطاياهم. وهذه مساعدة عظيمة لضمان محبّة الله. ويمكن للمسيحيّ أن يقول: كان المسيح يضمن كفّارة خطاياي بشكلٍ خاصّ ويضمّنها من خلال محبّته لي."

في الختام، في هذه المحاضرة، ركّزنا على ذبيحة المسيح، أي على عمله الكفّاري. نرى أنّ الله يتنازل ليعلّن مجده من خلال عمل المسيح الكفّاري الكامل. الإنجيل هو قلب الكتاب المقدّس، وكفّارة المسيح هي قلب الإنجيل. في المحاضرة القادمة، سوف نستكشف الحدث العظيم التالي في تاريخ فداء الله. وبعد موته تأتي قيامة الربّ يسوع المسيح. لذلك، سننأمل معًا في حدث قيامة المسيح هذا وانعكاساته على خلاص شعب الله.